للتاريخ لأنه هو الذي كتب هذا التاريخ، وكأنما قد صنع اللغة لأنه هو من كتب اللغة وصنع مجازاتها وقرر بلاغياتها حتى صارت (الفحولة) أرقى حالات الشاعرية.

ولذا فإن كتابة المرأة جاءت كطارىء لغوي وكحدث جديد على ثقافة قد ترسخت تقاليدها وأعرافها حسب قواعد الفحولة، ولم تجد المرأة بداً من أن تكتب مثلما كتب الرجل فتسير في خطاه وتستعين بمجازاته وبرموزه. وهذا لا يمكِّن المرأة من أن تحتل موقعاً جوهرياً في صناعة الكتابة، وقصارى ما ستدركه من ذلك هو أن تكون مثل الرجل، تتساوى معه أو تنافسه أو تتحداه، ولكن حسب النموذج الذكوري وبناء عليه.

ولعل هذا عين ما أدركته المرأة بعد تجربتها مع الكتابة، حيث اكتشفت أن اللغة تفرض حسها الذكوري وضميرها المذكر[3] على قلم المرأة مما يجعل المرأة تكتب وتفكر وكأنها قد استرجلت[4]. ومن إدراك المرأة الكاتبة لهذا المعضل الإبداعي راحت تحتال لكسر الطوق الذكوري المضروب على اللغة، وراحت تسعى إلى (تأنيث الذاكرة) لأنه ما لم تتأنث الذاكرة فإن اللغة ستظل رجلاً ولن تجد المرأة مكاناً في خزان اللغة المكتنز بالرجال والفحولة.

راحت المرأة تستنبت موقعاً ـ أو مواقع ـ للأنوثة في ذاكرة اللغة وفي ذاكرة التاريخ والثقافة، وجاءت كتابات تحفر طريقها بهذا الاتجاه، منها كتابات رضوي عاشور (غرناطة) ورجاء عالم (نهر الحيوان) وأميمة الخميس (والضلع حين استوى)، وكتابات منيرة الغدير وسحر خليفة. وسوف نقف على بعض هذه الكتابات لنرى مسعاها في محاولة (تأنيث الذاكرة).

---

(3) انظر الفصل الأول عن ضمير اللغة المذكر.

(4) انظر نموذج الأستاذة طلعت في الفصل السادس.